Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن قد يصبح السمع علة ظاهرية لمن سأل : ما السبب فى رفع كذا أو نصب كذا ، أو قولهم : امرأة ثدياء ، وعدم قولهم : رجل أثدى ، فيجيبه اللغوى : لأنا سمعنا العرب تقول ذاك . عندئذ يصبح المسموع دليلا على صدق دعواه ، ويبدو لنا المتكلم كأنه هو الذى رفع أو نصب أو اختار صيغة صرفية معينة ، وحينئذ يصبح السمع وسيلة من وسائل التعليل . ولقد أطلق الدينورى عليها « علة سماع » (١٠) .

والحقيقة أن المتكلم لايرفع ولاينصب ولايصرف ، إنما يستخدم قوالب لغوية متكاملة مترابطة تعوّد عليها بطريقة تلقائية دون أن يتدخل فى أى جزء من أجزاء هذه القوالب ، لأن هذه القوالب مفروضة عليه فرضا بما للظاهرة الاجتماعية من عمومية وقوة جبرية على أفراد المجتمع (١١) .

فلقد تسربت علة السماع – أو السمع – من الفقه إلى النحو ، ولكنها مع ذلك لاتصلح علة لغوية ، لما بين اللغة والفقه من فرق فى مادة الدراسة ؛ فالفقه مادة منقولة يتوقف تعليل أحكامها على السمع ؛ أما اللغة فهى مادة موضوعة يتوقف تعليل ظواهرها على الوصف والملاحظة .

ولكن مما لاشك فيه أن السمع بما يقدمه من نماذج مختلفة من الكلام حيث تأتى الكلمة مرفوعةً مرة ، ومنصوبةً مرة أخرى ومجرورة مرة ثالثة ، يصبح حافزا كبيرا فى تقديم المادة التى يجرى عليها النحاة تعليلاتهم ، كل حسب منهجه فى التعليل ، دون أن يصبح « السمع » فى حد ذاته تعليلا .

---

(١٠) جلال الدين السيوطى : الاقتراح ١١٥ .

(١١) انظر فى جبرية الظاهرة الاجتماعية وعموميتها – واللغة احدى الظواهر الاجتماعية – كتاب علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثانى ، المدخل لعلم الاجتماع للدكتور مصطفى الخشاب ٩ ، وكذا كتاب النحو العربى والدرس الحديث للدكتور عبده الراجحى ٢٦ .